آخر الأمثلة على جدوى الأنظمة الملكية

د. عبدالله المدني
elmadani@batelco.bh

لم يعد بمقدور أحد أن يجادل في جدوى الأنظمة الملكية لجهة تحقيق الاستقرار الداخلي، ومنع الحروب الأهلية، والتصدي لتفسخ الدولة، والنهوض بمستويات المعيشة.

والأمثلة على هذا الصعيد كثيرة تقابلها أمثلة تقول لنا أن الانظمة التي ورثت الملكيات لم تنجز أي شيء من برامجها التي دغدت بها عواطف السذج كالعدالة والمساواة والحريات والرخاء والتنمية والنهضة. بل أنها دمرت ما كان قائما من مظاهر الرقي والمدنية، وأفسدت الحياة السياسية، وأقامت المعتقلات، وكممت الأفواه، وريفت المدن، وأشعلت الحروب الجهوية والطائفية المقيتة، وأرجعت البلاد والعباد سنوات إلى الوراء. وبعبارة أخرى «ما من ملكية سقطت إلا وتلتها حالة كارثية»!

حدث ذلك في مصر والعراق وليبيا واليمن وايران وأفغانستان والحبشة، وأخيرا في نيبال التي هي موضوع حديثنا اليوم.

فهذه المملكة المعزولة ذات الموقع الجغرافي الصعب والموارد المحدودة، لكن المبتلية بتقسيمات عرقية ولغوية متنوعة (نحو 60 لغة محلية و103 إثنية أكبرها إثنية تشيتري بنسبة 16٪ من عدد السكان البالغ 26.6 مليون نسمة) كانت تعيش في أمان وهدوء في ظل نظامها الملكي الدستوري إلى أن خرج نفر من شعبها يحمل السلاح من أجل التغيير بإسقاط الملكية.

ولو أن هذا النفر كان يتبنى أجندة واقعية متحضرة ومتوافقة مع متطلبات القرنين العشرين والحادي والعشرين لوجدنا له عذرا، لكن الغرابة أن هواه كان ماويا بمعنى رغبته في إقامة نظام بديل ينتهج نهج النظام الماوي الذي أعاد الصينيين عشرات السنين إلى الوراء بحماقاته وسياساته الدموية والانغلاقية. ومن أجل إقامة النظام البديل دخل حربا أهلية في وقت كان فيه سدنة الماوية في بكين يلفظونها ويحاولون التخلص من إرثها الثقيل.

وجملة القول أن حروب الماويين ما بين 1996 ـ 2006 كلفت نيبال الكثير من الضحايا والدمار، وأفضت إلى فقدان النظام لسيطرته على أجزاء واسعة من البلاد، الأمر الذي اضطر معه الملك جيناندرا (تولى العرش خلفا لأخيه في عام 2001 بعد مذبحة القصر الملكي التي قتل فيه ولي العهد الأمير ديابندرا والده الملك بيرندرا ثم انتحر) إلى إيجاد حل عبر التفاهم مع الماويين. لكن شرط هؤلاء لوقف القتال كان إنهاء الملكية، وهو شرط رضخ له الملك في نهاية المطاف.

وهكذا صوّت البرلمان المنتخب في يوم 28 مايو 2008 لصالح الغاء الملكية، وإقامة نظام جمهوري فيدرالي برئيس دستوري للجمهورية ورئيس تنفيذي للحكومة. ومنذ ذلك اليوم المشؤوم، الذي جاء بعد 240 عاما من نجاح الملكية في توحيد البلاد، وإنهاء الحروب الجهوية، ومن ثم تأسيس معالم الدولة المدنية الحديثة، وتحقيق بعض النمو الاقتصادي بالامكانيات القليلة المتاحة، ونيبال تنتقل من مأزق إلى آخر، ومن تقهقر إلى تقهقر على مختلف الأصعدة.

إذ لم ينجز زعماؤها الجمهوريون الجدد ــ كما حدث في حالات مشابهة في الدول العربية ــ سوى التوافه من الأمور مثل إزالة صورة الملك من العملة الرسمية، وتغيير النشيد الوطني، وإلغاء كلمة «ملكية» من إسم الناقلة الجوية، واستبدال أسماء الشوارع والميادين ودور العلم. بل أنهم راحوا ينفذون أجندات منظمات المجتمع المدني التابعة للولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية التي دفعت بسخاء لبعض الناشطين والساسة المحليين، بمن فيهم الماويين من أجل غرس وتعزيز مفاهيم الفيدرالية الهادفة إلى تمزيق وحدة نيبال وتحويلها إلى ما بين 15 ـ 20 كانتونا.

فعلى سبيل المثال لم ينجحوا من بعد سبع سنوات على زوال الملكية في أمر حيوي ومهم لإطلاق عملية البناء وطي صفحة الفوضى والحرب. ونعني بذلك صياغة دستور دائم للبلاد من قبل الجمعية التأسيسية. وهذه الجمعية المكونة من 602 عضو، والتي عـُهد إليها القيام بهذا العمل في عام 2008 وأنفقت على نفسها نحو 100 مليون دولار، انهت مؤخرا مدتها المحددة دون إنجاز الدستور المأمول بسبب خلافات مريرة واتهامات متبادلة بين زعماء وساسة الحكومة الإئتلافية والاحزاب السياسية الكثيرة التي ولدت كالفطر في ظل النظام الجمهوري. وقد تطور الأمر إلى حد قيام بعض الساسة ومؤيديهم بإقتحام البرلمان لتعطيل أعماله، علما بأن هذه الأحزاب بما فيها حزب الأغلبية الماوي المعروف باسم «حزب نيبال الشيوعي المتحد»، تسعى إلى بلقنة البلاد عبر النص في الدستور على عدد كبير من المحافظات والأقاليم بحسب التقسيمات الإثنية واللغوية، وذلك بغية أن يكون لها تأثير أكبر على هذا الإقليم أو ذاك، فيما تقاوم الحكومة هذا الاتجاه قائلة أنه سيضاعف من حجم النفقات الحكومية في وقت شحت فيه الموارد وانخفضت المساعدات الأجنبية.

وبعبارة أخرى فإن هذه الأحزاب البالغ عددها 85 حزبا (25 منها فقط ممثل في البرلمان)، بعدم إمتلاكها لرؤية موحدة حول مستقبل نيبال وتقديمها لمصالحها الضيقة على حساب مصلحة الوطن والأمة، تساهم في خلق مناخ غير مشجع لمن يريد تقديم يد العون والمساعدة للشعب النيبالي. وفي هذا السياق يبرز دور الهند التي لها مصالح استراتيجية في هذا البلد، ومن هذا المنطلق وعد رئيس حكومتها «راجيندرا مودي» بمد جارته النيبالية بمساعدات تنموية ضخمة تصل إلى بليون دولار. ومثل هذه المساعدة الضخمة لجهة الحجم لم يسبق للهند أن قدمتها إلى أي قطر آخر، وهو ما يشير إلى حرص نيودلهي على قطع الطريق على بكين للتدخل في هذا البلد عبر أتباع النهج الماوي ومن في حكمهم.

> راحوا ينفذون أجندات منظمات المجتمع المدني التابعة للولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية التي دفعت بسخاء

للرجوع للمقالات السابقة

مسامرات

خالد البسام
Albassamk1@hotmail.com

اختيارات

ليس من حق الانسان اليوم ان يختار مايريد!

هل بدأنا بالديكتوريا اليوم؟ لا اظن ذلك.

غير انني ابدأ بكل بساطة بكلام اجده معقولا وهو ان الانسان احيانا يختار في مرحلة من حياته اشياء غير منطقية وغير ممكنة ، بل واحيانا مستحيلة كي يحقق طموحا ما او احلاما تأخرت في عقله كثيرا.

الحياة اليوم صعبة لدرجة انها تستعصى حتى على علماء النفس والسياسيين والحكام. وهكذا فلا انوي ان اتهم احدا مهما كان ديكتاتوريا او ديمقراطيا او يدعي الثورية او الليبرالية او غيرها.

الموضوع بسباطة شديدة هو ان هناك بشرا كثيرين عندنا يختارون حياتهم بطريق الخطأ وربما الانتحار، ورغم ذلك اقول ان ذلك هو حقهم وتفكيرهم واحلامهم.

لكن المأساة ان تتحول تلك الطموحات والافكار لديهم الى تحقيق مآسٍ حقيقة لبشر مثلهم !

فمثلا ماذا يعني اليوم، ونحن نعيش انهيار الكثير من الدول العربية والفوضى الكبيرة التي تعمها، ماذا يعني ان يتحول الجميع الى مقاتلين ومعارضين ورافضين لكل شئ . يلعنون كل شئ ويذبحون كل شئ بلا وازع لا اخلاقي ولا ديني.

الكل اليوم يتحدث عن الوازع الديني لكن لا احد يتحدث عن الوازع الاخلاقي.فهؤلاء كلهم يدعون الدين والتدين لكنهم ينسون تماما ان الدين ، اى دين في العالم، له اخلاق وضوابط .

هؤلاء يتركون انفسهم في العراء . اى بلا دين ولا اخلاق ولا عادات وبلا اى شئ.

بشر كأنهم جاءوا من السماء او رسل انزلوا علينا ونحن لا ندري.

ومع أن الدنيا تغيرت وتغيرت كثيرا ، الا ان هذه النوعية من الناس لا تزال في القرون الوسطي وبامتياز شديد.

نحن في قرن جديد ولكن هـؤلاء المتخلفون مـازالـوا يعيشون في القرون ما قبل الوسطى.

للرجوع للمقالات السابقة

هـــذه هي السعوديـــة

راجح خوري

تحولت الرياض في الأيام الماضية عاصمة للعالم، الذي تقاطر قادته للتعزية في الراحل الكبير الملك عبدالله، لكن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ومعاونيه والشعب السعودي، وقفوا على ما يمثّل عمليا في الواقع توافدا سياسيا واستفتاء عالميا على أهمية المملكة ومكانتها الدولية ودورها الفاعل ومرجعيتها الحاسمة.

من أمريكا أوباما إلى قرغيزستان آلان عبديلداف، مرورا بروسيا بوتين وميدفيديف، وصين يانغ جيه تشي، وبريطانيا تشارلز وكاميرون، وفرنسا هولاند، كلهم ذهبوا إلى الرياض ولم يتغيّب أحد في العالم تقريبا عن هذه المناسبة، للتعزية ومصافحة الأيدي التي تمسك بمقاليد الحكم، في بلد له دور محوري على المستويات العربية والإسلامية والإقليمية والدولية، وخصوصا في هذه المرحلة الدقيقة.

قبل أن يهبط الرئيس باراك أوباما في الرياض قاطعا زيارته إلى الهند في لفتة غير مسبوقة، كان العلم البريطاني قد هبط عن ساريته منكسا فوق قصر باكنغهام في لفتة غير مسبوقة أيضا، ومن الهند أعلن أوباما أن الشراكة اللصيقة والقوية بين أمريكا والسعودية، هي جزء من إرث الملك عبدالله الذي سيستمر مع الملك سلمان، ثم جاءت الترجمة العملية لهذا الكلام يوم الثلاثاء، عندما وصل أوباما على رأس وفد من 29 شخصية للتعزية تلتها أول قمة مع خادم الحرمين الشريفين.

لم تسمح ستائر الحزن وقواعد التعزية بصدور بيان مشترك عن القمة، لكن البيان الذي صدر عن الديوان الملكي أشار إلى تقديم التعزية الحارة وإلى «أن زيارة أوباما الرسمية تعتبر استمرارا لاجتماعات القمة بين قادة البلدين منذ اجتماع الملك عبدالعزيز والرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت عام 1945 الذي تأسست خلاله العلاقة التاريخية والاستراتيجية القائمة بين البلدين الصديقين».

التصريحات والتحليلات الأمريكية التي سبقت الزيارة أوحت بأن إدارة أوباما تريد استمرار العلاقات العميقة والراسخة مع السعودية، وبدا واضحا أكثر أن أوباما حريص على ترميم العلاقات بين البلدين، بعدما تلبّدت في سمائها غيوم من العتب والمرارة نتيجة السياسات الخارجية الأمريكية في الأعوام الأخيرة، وهي سياسات تتنافى كليا مع القواعد والأصول وتتعارض مع المبادئ التي يفترض أنها تحكم مواقف البلدين الحليفين من القضايا الحساسة التي تهمهما.

الاستمرارية في علاقات تعاون وثيق وعميق على هذا المستوى لا يجوز أن تكون من طرف واحد، فمن الواضح أن السعودية كانت ثابتة في كل مندرجات التعاون بين البلدين وفي الملفات التي تهمهما، لكن ليس سرا أن أوباما ابتعد كثيرا عن هذه القواعد وخصوصا في ملفات حسّاسة ومهمة.

فمن الواضح أنه طبّق ويطبّق سياسة متهافتة على إيران والاتفاق النووي معها بغض النظر عن التنسيق مع حلفائه الخليجيين وفي مقدمهم السعودية، وعن تدخلاتها السلبية على المستويين الخليجي والعربي، ثم إنه تعامى عن الأزمة السورية بما ولّد «داعش» وغيره من التنظيمات الإرهابية، وقد انحاز في البداية إلى «الإخوان المسلمين» في مصر في سياق رهانه على تسليم الإسلام السياسي المنطقة كلها، وليس خافيا أنه نسي كل وعوده الزهرية بحل أزمة المنطقة على أساس رؤية الدولتين.

وهكذا عندما يقرر أوباما قطع زيارته إلى الهند ليذهب معزيا إلى السعودية، ويصطحب معه وفدا له رمزيته ومدلولاته السياسية الواضحة، وعندما تسبق وصوله تصريحات لافتة تغاير سياساته، يصبح من المفهوم أن أوباما يريد أن يتصرف بطريقة توحي بحرصه على ترميم العلاقات مع الرياض، وخصوصا أن خادم الحرمين الشريفين أعلن منذ اللحظة الأولى أنه متمسك باستمرارية السياسة التي انتهجها الملك عبدالله والتي كان شريكا في كل أبجديتها.

لم يكن المسؤولون في السعودية في حاجة إلى صدور بيان أمريكي قبل ساعة من وصول أوباما إلى الرياض يقول: «إن الوفد الكبير والمتنوّع دليل على متانة العلاقات الثنائية وأهميتها» ولا إلى كلام المسؤول الأمريكي الذي تحدّث عن «حتمية التوافق على التحديات المشتركة التي تتطلب معالجتها كل التعاون والتنسيق»، فقد كان كافيا معرفة أعضاء الوفد الذي اصطحبه أوباما وطبيعة مواقفهم السياسية المعلنة، لكي يتأكد فعلا أن البيت الأبيض يحرص على استمرارية العلاقات مع الحليف السعودي، وأن القمة مع خادم الحرمين الشريفين الجديد هي مقدمة مدروسة أمريكياً بهدف ترميم العلاقات وإزالة الغيوم الداكنة من فضائها.

تشكيلة الوفد الأمريكي عكست الأهمية التي يضعها أوباما على ترسيخ العلاقات مع الملك سلمان، فقد ضمّت شخصيات من الحزبين الجمهوري والديمقراطي ترتبط بعلاقات وثيقة مع الرياض وبعضها مثل السيناتور جون ماكين ووزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر يوجّه انتقادات حادة إلى سياسة أوباما حيال إيران وسوريا تحديدا وحل أزمة الشرق الأوسط، ونزول هؤلاء معه بعد تنويهه بهم يعني أنه يتعمد إظهار الرغبة في العودة إلى قواعد وأصول التعاون مع السعودية.

مع وجود ماكين وبيكر وكوندوليزا رايس وبرنت سكاوكروفت وساندي بيرغر وستيفن هادلي وفرانسيس فاركوس تاونسند الذين أدار بعضهم السياسة أيام جورج دبليو بوش، أراد أوباما الإيحاء بأنه حريص على الاستمرارية التي يريد أن يحافظ عليها خادم الحرمين الشريفين، فهو يصطحب الماضي متبنيا ولهذا مغزاه العميق.

بعد تهافت أوباما على الاتصال الهاتفي مع حسن روحاني وبعد الكشف عن المحادثات السرّية بين أمريكا وإيران في عمان علّق ماكين بالقول: «لماذا نستبدل الحلفاء الخليجيين الموثوقين بحلفاء إيرانيين غير موثوقين»، ومساء الثلاثاء ومع هبوطه مع أوباما في الرياض وصل تصريحه من الطائرة «ان السعودية تبدو كحصن منيع أمام مساعي إيران لبسط نفوذها في سوريا والعراق ولبنان واليمن والبحرين»، فهل كان ماكين ليقول مثل هذا الكلام كعضو يرافق أوباما ومن داخل طائرته لو كان أوباما فعلا يرفض أو يعارض؟

كلام جيمس بيكر من الطائرة أيضا بدا بالنسبة إلى المراقبين كأنه نصيحة مباشرة إن لم نقل انتقادا ضمنيا لسياسات أوباما عندما قال: «أعتقد أنه من المهم أن نظهر للسعوديين الأهمية التي نوليها لهم»، بمعنى أن إيلاء هذه الأهمية اقتضى أن يصطحب أوباما معه من يجيد الإضاءة على هذه الأهمية وإبرازها، ولكي تكتمل حلقة النصيحة تعمّد بيكر أن يضيف «انها مرحلة حساسة في شكل استثنائي في الشرق الأوسط ويبدو أن كل شيء ينهار وفي الوقت عينه تصبح المملكة العربية السعودية واحة استقرار»!

نعم كانت الرياض عاصمة العالم وشهدت قمة دولية متواصلة توّجتها زيارة أوباما التصحيحية، وفي النهاية ليس الأمر مستغربا... هذه هي السعودية.

عن الشرق الأوسط

> من أمريكا إلى قرغيزستان مروراً بروسيا بوتين والصين وبريطانيا وفرنسا كلها ذهب قادتها إلى الرياض